كلمة الراعي

بطريركية بابل الكلدانية
بغداد - العراق

الى اخوتنا الاجلاء السادة المطارنة
والى ابنائنا الكهنة والشمامسة
والى اولادنا الرهبان والراهبات
والى ابنائنا وبناتنا شعب الله المختار
السلام والبركة بالرب

اليكم جميعا وبخاصة الى عائلاتنا المسيحية اوجه كلمتي الابوية هذه ، وشعبنا يعاني من جور الحصار اللاانساني المفروض على وطننا، لاذكرهم بأن العناية بأخوتنا المعوزين هي، كما قال القديس يوحنا فم الذهب، «المحور الرئيسي في حياتنا المسيحية وهي العلامة التي تبرز حقيقتنا وتصلحها وتطهرها» . انها اكبر اثبات لايماننا ، اذ «بهذا ، قال الرب يسوع ، يعرف الجميع انكم تلاميذي اذا كنتم تحبون بعضكم بعضا» (يوحنا ١٣/ ٣٥) . ان المحبة المخلصة تظهر ليس في مقاسمة الطعام ولا في تبادل الاحاديث ولا في الامتداح المتبادل بل في سند من يسقط او الامساك بيد من يرقد غير مبال بخلاص نفسه وطالبا خير القريب اكثر من خيره الشخصي . المحبة لا تنظر الى مصالحنا بل تنظر الى مصالح القريب لكي ترى من خلالها مصالحها الخاصة» (موعظة في ابراهيم ٢).

ان قول الذهبي الفم في القرن الرابع ، ان هو الا صدى لواقع الجماعة المسيحية الاولى في اورشليم ، حيث «كان جميع المؤمنين معا وكان كل شيء مشتركا بينهم ، وكانوا يبيعون املاكهم وامتعتهم ويوزعونها على حسب حاجة كل واحد منهم» (اعمال ٢/٤٤-٤٥) حين كان الرسل منشغلين في قبول التقادم وتوزيعها على المحتاجين (اعمال ٤/٣٤-٣٥).

ويذكر سفر اعمال الرسل كيف انه في المجاعة الشديدة التي وقعت في اورشليم ، هبّ المؤمنون لجمع التقادم لاخوانهم بحسب ما تيسر لكل واحد منهم في كنائس انطاكية (اعمال ١١/٢٩) وغلاطية (اعمال ١٦/ ١-٢) ومكدونية (٢ كور ٨/١) وآكائية (٢ كور ٩/ ٢) ، ان الاهتمام بالفقراء كان من الواجبات الملزمة للكنيسة الاولى (غلاطية ٢/١٠) ، وخدمة الرسل الرئيسية كانت «خدمة الكلمة» الى جانب «خدمة الفقراء» . وان هذه الخدمة لم تكن مجرد كلمات فارغة بل كانت اعمالا ملموسة : اطعام الجياع وسقي العطشانين وايواء الغرباء واكساء العريانين وعيادة المرضى وزيارة المحبوسين ، حسب قول يسوع (متى ٢٥/ ٣٥-٣٦) ايمانا منهم بقول معلمهم الالهي : «الحق اقول لكم انكم كلما فعلتم ذلك باحد اخوتي هؤلاء الصغار فبي فعلتموه» (متى ٢٥ /٤٠) .

هذه الاعمال نسميها «اعمال الرحمة» او «صدقة» يفرضها علينا الرب ذاته مانح الخيرات والبركات في كلا العهدين القديم والجديد.

ان كمال التدين والعدالة تفرض علينا ان نساعد بعضنا بعضاً بالمواهب التي يفيضها الآب السماوي برحمته الواسعة علينا وهذا ليس مجرد عمل اختياري بل هو امر الهي وواجب قطعي لجميع المسيحيين بمختلف فئاتهم ومراتبهم ، نابع من الايمان والعدالة ويهدف الى تمجيد الله . وفي الواقع انه رد دين علينا ، وهو بالاحرى واجب عدالة اكثر منه عمل رحمة .

ان ممارسة الصدقة لاسعاف الفقير هي علامة الهداية الشخصية ، وهي المظهر الجوهري لمسيرة التوبة التي تكلل الصلاة والصوم وهي ضمانة اكيدة للخلاص . قال الرب : «طوبى للرحماء فانهم يرحمون» (متى ٥/٧) وعبثا يطلب الرحمة في العالم الآتي من لم يمارس الرحمة في هذا العالم!

كتب القديس قبريانوس في شرحه لنص سفر طوبيا (١٢/٨) : «ان صلواتنا واصوامنا تكون اقل فعالية اذا لم تكن مرفقة بالصدقة ، والتضرعات وحدها تفيد الصلاة قليلا اذا لم تغذّها وتسندها الاعمال والافعال الصالحة . والملاك (روفائيل) يبين ويؤيد ويؤكد ان

صلواتنا تكون ذات فعالية ، وان حياتنا تنجو من الشر ونفسنا تتحرر من الموت بواسطة الصدقة».

وان اهمية الصدقة وكرامة الفقير ، الذي هو صورة المسيح ذاته ، نعبر عنها بصورة خاصة في تقدمة القرابين خلال الاحتفال بالاوخارستيا. وهكذا فالمسيحيون الاولون كانوا يعبرون في الاحتفال بالقداس بصورة ملموسة عن تضامنهم مع اخوانهم المعوزين بالتفكير وبالاهتمام بالفقراء وبضحايا الكوارث والاضهادات معتبرين ذلك امتدادا لعشاء الرب في سر المحبة . وجمع التقادم خلال الاحتفال بالاوخارستيا وتوزيعها بعد ذلك على الفقراء ، ومن ضمنها تقديم وجبات الاكل ، كان قد اصبح جزءا مكملا وعنصرا ملزما لهذه الاحتفالات.

واذا لم يكن ممكنا ان يحقق الجميع كلمة الرب «بيعوا مقتناكم» (لوقا ١٢/٣٣) غير ان ما اضافه له المجد ، اعني : «واعطوا صدقة» هو امر ممكن للجميع ، اذا توفرت النيات الطيبة ؛ وهي سهلة للجميع اذا لم يمتلك النفوس الجشع الشرس . وهي مفيدة للجميع ، اذا اضطرمت المحبة في النفوس . فالرحمة واجب يتحتم على جميع المسيحيين حسب قول الذهبي الفم ايضا ؛ « اذا كنت لا تستطيع ان تتخلى عن كل مقتناك وتصبح فقيرا ، فاعمل الصدقة مما تملك . واذا كانت ثرواتك تسحقك مثل ثقل لا يطاق حمله ، فأقسمها مناصفة مع المسيح . واذا كنت لا تريد ان تعطيها كلها له ، فاعطه نصفها او ثلثها . انه (المسيح) اخوك ووريث معك (في تفسير انجيل متى ٤٥ / ٢).

فالى عائلاتنا التي وهبها الله دعوة خاصة لنشر محبته وممارسة عنايته ، نوجه دعوتنا الابوية في هذه الظروف القاسية التي تمر بها بلادنا ويعاني منها شعبنا ، ليعوا مسؤولياتهم ، في التضامن مع اخوانهم المعوزين ، بتكريس جزء من مواردهم لمساعدة العوائل المحتاجة وفي زيارة المسنين والمرضى والمعوقين ، يقينا منهم ان الكنيسة هي علامة حضور الله بين البشر ، الله المحبة . وفي جملة الاعمال التي نشجع عليها هي المساهمة السخية في نشاطات «اخوية المحبة» ، هذه المنظمة الانسانية المسيحية التي اردناها لاسعاف شعبنا المتألم جراء المحنة الكبرى التي اصابت الجميع وافقرتهم دون تمييز.